بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن
سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

﴿أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فاز المؤمنون وتحقّق ظفرهم ونجاحهم ﴿خَاشِعُونَ﴾ خائفون متذلّلون لعظمة الله ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ عن المعاصي وسائر القبائح والمنكرات ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ يصونونها عن الحرام «الزنى والتكشف» ﴿أَزْوَاجِهِمْ﴾ زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ الإماء المملوكات «السراري» ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ غير مؤاخذين ﴿الْعَادُونَ﴾ من طلب غير الزوجة والأمة فهو المعتدي المتجاوز الحدّ في العصيان ﴿يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ أعلى مراتب الجنان، قال ﷺ: «أُنزل عليَّ عشر آيات من أقامهنَّ - عمل بهنَّ - دخل الجنة ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾» الآيات رواه الترمذي ﴿سُلَالَةٍ﴾ من خلاصة استلّت من الطين ﴿نُطْفَةً﴾ منياً ﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ رحم الأم ﴿عَلَقَةً﴾ مثل الدودة الرقيقة تعلق في جدار الرحم ﴿مُضْغَةً﴾ قطعة لحم بقدر ما يُمضغ في الفم ﴿عِظَامًا﴾ صيّرنا قطعة اللحم عظاماً صلبة لتكون عموداً للبدن، ثم نفخنا فيه الروح فصار إنساناً سوياً ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سبع سموات بعضها فوق بعض، وهي بناء محكم رفيع.

توضيح: رُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال: كان إذا نَزَل على رسول الله ﷺ الوحيُ، يُسمع عند وجهه كدَويِّ النحل، فلبثنا ذاتَ يوم ساعةً، فاستقبلَ القبلةَ ورفعَ يديه وقال: «**اللهمّ زِدْنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنّا، وأعطنا ولا تَحرمنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وأَرْضنا وارضَ عنا**» ثم قال: «**لقد أُنزل عليَّ عشرُ آيات، من أقامهنَّ دخل الجنةَ**»، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيات. رواه أحمد والترمذي.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً ۖ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

﴿مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ بمقدار محدّد يكون به صلاح الزروع والثمار، لا كثيراً فيفسد، ولا قليلاً فلا يكفي ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾ في الآبار وفي مخازن الجبال، تتفجر منه الأنهار ﴿ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ ونحن قادرون على تغويره في الأرض حتى تهلكوا عطشاً، وهو وعيد وتهديد ﴿مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ حول جبل الطور وما جاوره من بلاد فلسطين ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ يخرج منها الزيتُ ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ وإدام يُؤتدم به وهو الزيتون، وفي الحديث: **كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة** رواه أحمد ﴿عِبْرَةً﴾ لعظة بليغة، تشربون الحليب من بين فرث ودم، دون أن يتلوّث بالأقذار والدماء ﴿ٱلْمَلَؤُا﴾ أشراف القوم وسادتهم ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يريد أن ينال الرئاسة والشرف عليكم ﴿جِنَّةٌ﴾ رجل مجنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ انتظروا حتى يموت ﴿ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ اصنع السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ بإلهامنا وتعليمنا ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أدخل فيها من كل صنف من الحيوان زوجين «ذكراً وأنثى» لئلا ينقطع النسل، ونوح أول من اخترع السفينة، وما كان يُعرف قبله ركوب البحر ﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾ جاء موعدُ إغراقهم وإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ وفار الماء من التنُّور، الذي يخبز فيه الخبز، وقد جعل الله ذلك علامةً لنوح على إهلاك قومه ﴿وَأَهْلَكَ﴾ واحمل فيها أهلك وأتباعك المؤمنين ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ سبق من الله تعالى القولُ بإهلاكه ممن لم يؤمن ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ لا تسألني الشفاعة في القوم الظالمين، فإنهم مهلكون لا محالة، نهاه تعالى أن يشفع لأحدٍ من الظلمة الفجرة، لأنه سبق القول بهلاكهم.

﴿ٱسْتَوَيْتَ﴾ علوت على السفينة ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ أنزلني إنزالاً مباركاً تحفظني فيه من كل سوء ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ الحافظين لعبادك وأوليائك ﴿لَّمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين العباد بإرسال الرسل ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ خلقنا بعد قوم نوح قوماً آخرين هم عاد ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون عذاب الله؟ ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ نعّمناهم في الدنيا ووسعنا عليهم فبطروا وتكبروا ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بُعْدَ بُعْدَ ما يعدكم به من الحياة بعد الموت ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت جيلٌ ويحيا جيل ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾ ولا بعث ولا نشور ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب المدمرة، صاح بهم جبريل صيحة واحدة، وجاءتهم الريح التي أهلكهم الله بها، فماتوا جميعاً ﴿غُثَآءً﴾ هلكى كغثاء السيل التافه الحقير ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سُحقاً لهم وهلاكاً

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ أمماً أخرى كقوم صالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وفي الآية إيجازٌ بالحذف تقديره: أرسلنا إليهم الرسل، فكذّبوهم فأهلكناهم ودمّرناهم، دلّ عليه قوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ أي ما تتقدّم أمة على الوقت الذي عُيّن لهلاكها، ولا تتأخر عنه.

تنبيه: لم يذكر القرآن اسم الرسول، ولا اسم القوم في هذه القصة، حيث قال: ﴿أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ لأن ذلك معروف من تاريخ الأمم، وقصص الأنبياء، فإن الذين جاءوا من بعد قوم نوح، هم قوم (عاد) ونبيُّهم هو (هود) عليه السلام، لقوله سبحانه في الأعراف: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ فدلّ ذلك عنهم بيقين.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ ۖ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

﴿مَا تَسْبِقُ﴾ لا تتقدم الأمة المهلكة عن الوقت المحدّد لهلاكها ولا تتأخر عنه ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أرسلنا الرسل متتالين، يتبع بعضهم بعضاً ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أحاديث عجيبة، يتحدث الناس عن أخبار هلاكهم ﴿فَبُعْدًا﴾ هلاكاً ودماراً ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة واضحة ﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبّرين متمرّدين، بالبغي والظلم ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ معجزة عظيمة تدلُّ على عظيم قدرتنا ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماءٍ جارٍ ظاهر تراه العيون ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد هو الإسلام ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ خافوني واحذروا عقابي ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ تفرقت الأمم في أمر دينهم ﴿زُبُرًا﴾ فرقاً عديدة: يهودي، نصراني، مجوسي، بعدما أمروا بالاجتماع ﴿فَرِحُونَ﴾ كل جماعة وفرقة مسرورة بما هي عليه من الدين الأعوج ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ اتركهم في جهالتهم وضلالتهم إلى حين موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ هل يظنون أن سعة الرزق، وكثرة الأموال والأولاد، لخيرهم وإكرامهم؟ لا، بل هو استدراج لهم ﴿خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ جلال الله وعظمته ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون يخشون عقابه وعذابه.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ لفظ البشر يطلق على المفرد، والجمع، فمن إطلاقه على الفرد قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ومن إطلاقه على الجمع قوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ والمراد بالبشرين ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ﴾ أي رجلين هما «موسى» و«هارون» عليهما السلام.

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ يعطون العطاء من إحسان وصدقات ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة ألّا يتقبل الله منهم أعمالهم، قرأت أم المؤمنين عائشة هذه الآية فقالت: يا رسول الله، أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عزّ وجلّ؟ فقال لها ﷺ: **«لا، يا بنت الصدّيق!! ولكنه الذي يصلّي، ويصوم، ويتصدّق، وهو مع ذلك يخاف الله ألّا يتقبّل منه»** رواه أحمد والترمذي ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لا نكلف أحداً إلا بما في طاقته ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ في غفلة وعماية عن دين الله ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يصرخون مستغيثين لرفع العذاب ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾ لا تُمنعون من عذابنا فلا ينفعكم صراخٌ ولا استغاثة ﴿تَنْكِصُونَ﴾ ترجعون معرضين عن سماع الآيات ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ تسهرون الليل للسّمر حول بيت الله الحرام للطعن في القرآن والاستهزاء به، **قال ابن عباس**: كان المشركون يتحلّقون حلقاً حول البيت يتحدثون ويطعنون بالقرآن ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ به جنون ﴿خَرْجًا﴾ هل تسألهم أجراً على تبليغ الدعوة؟ ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وثوابه خير من كل شيء ﴿لَنَاكِبُونَ﴾ لعادلون عن الحق منحرفون عنه.

توضيح: قوله تعالى: ﴿مَذْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ في الآية استعارة بديعة، شبّه ما هم فيه من الجهالة والضلالة، بالماء الذي يغمرهم من فرْقهم إلى قدمهم، كأنهم غارقون في الضلالة، وأصلُ الغمرة: الماء الذي يغمر القامة، والمراد بالآية هنا: انهماكهم في الباطل والضلال، بطريق الاستعارة اللطيفة.

وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ لو رفعنا عنهم البلاء لتمادوا في ضلالهم وكفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يعمون عن الرشد، والعمهُ يكون في القلب، كما أن العمى يكون في البصر ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ما خضعوا لله ولا تواضعوا له ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ولا يدعون ربهم لكشف البلاء، لجبروتهم وكبريائهم ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وبثكم في الأرض بطريق التناسل ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تُجمعون للحساب والجزاء ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ خرافات وأباطيل الأمم السابقة ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من بيده المُلك الواسع التام؟ ومن بيده خزائنُ السموات والأرض؟ ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ وهو يحمي من استجار به والتجأ إليه، ولا يقدر أحد أن يعيث منه أحداً؟ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ سيقولون: الله وحده له الملك والتدبيرُ، والتصرف في خلقه ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ كيف تُخدعون وتُصرفون عن الحق إلى الباطل؟ وكيف يُخيَّل لكم الحقُّ باطلاً والصحيح فاسداً؟

سبب النزول: لمّا أُسر (ثُمامةُ) في أيدي المسلمين ـ وكان رئيساً في قومه ـ خلّى رسولُ الله ﷺ سبيله، فأسلم ورجع إلى نجد، ومنع الميرة عن أهل مكة، وقال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبّةُ حنطة، حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، وأخذ الله قريشاً بالقحط والجدب، حتى أكلوا الميتة والكلاب والحشرات، فجاء أبو سفيان مستنجداً برسول الله ﷺ وقال: أنشدك الله والرّحم، هلك قومك، فادعُ الله أن يكشف عنهم الضر، فنزلت الآية ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وذلك لشدة عتوّهم وضلالهم!!

سورة المؤمنون
بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ في ما ينسبونه إلى الله من الشركاء والأبناء ﴿مِن وَلَدٍ﴾ لا من الملائكة ولا من البشر ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ وليس معه من يشاركه في الألوهية ﴿بِمَا خَلَقَ﴾ لو كان معه إله لانفرد كل إله بخلقه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ﴾ غلب القويُّ الضعيفَ وقهره وسلب منه ملكه كما يفعل ملوك الدنيا ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تنزّه الله عما يصفه به الظالمون ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾ أعتصم بك ﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ من وساوس الشياطين في الإفساد والإغراء ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ والتجئ إليك يا رب أن يصحبوني في نفسي وأهلي ﴿بَرْزَخٌ﴾ وأمامهم حاجز يمنعهم من الرجوع إلى الدنيا هو «القبر» ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾ لا نسب ولا قرابة تنفعهم ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تحرقها بشدة لهبها ﴿كَٰلِحُونَ﴾ سود الوجوه، مشوّهو المنظر، وفي الحديث: **«تشويه النارُ فتتقلَّص شفته العُلْيا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفتُه السفلى حتى تضرب سرَّته»** رواه الترمذي، والكلوحُ: تغيُّرُ شكل الوجه إلى المنظر القبيح، وخصّ الوجوه بالذكر، لأنها أشرف الأعضاء.

تنبيه: دلّ قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ على عالم البرزخ، والعوالمُ ثلاثة: (عالم الدنيا، وعالمُ البرزخ، وعالمُ الآخرة) وعالمُ البرزخ وسطٌ بين الدنيا والآخرة، قال مجاهد: البرزخُ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث، وهو (القبرُ) والقبرُ أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أهون، وإن لم ينج منه، فما بعده أشدُّ وأصعب، كما ورد به الحديث الشريف، وفي القبر سؤالٌ وجواب، ونعيمٌ أو عذاب، نسأله تعالى أن ينجينا من عذاب القبر.

﴿ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ألم تكن آيات القرآن تقرأ عليكم؟ ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ فكنتم تسخرون منها وتكذّبون!! ﴿شِقْوَتُنَا﴾ غلبت علينا شقاوتنا فسلكنا طريق الشهوات ﴿فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ فإن رجعنا إلى ما كنا عليه من الكفر والضلال، نكون ظالمين لأنفسنا أشد أنواع الظلم ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ انزجروا عن الكلام ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في إخراجكم من النار، وعودتكم إلى الدنيا!! واخسؤوا كلمة تستعمل في زجر الكلاب، وفيها إهانة وإبعاد ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ سخرتم من عبادي المؤمنين ﴿أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ حتى نسيتم باستهزائكم منهم عبادتي وطاعتي ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ كم أقمتم في الدنيا وعشتم فيها من السنين؟ ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ مكثنا فيها يوماً أو أقل من يوم ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ الملائكة المتمكّنين من معرفة العدد، قال ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب، المدة التي لبثوها في الدنيا ﴿عَبَثًا﴾ هل ظننتم أننا خلقناكم لمجرد العبث؟ دون حكمة أو مصلحة؟ ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ تنزّه الرب الجليل، الكبير المتعال عن أن يخلق شيئاً عبثاً ﴿وَمَن يَدْعُ﴾ من يعبد غير الله ويجعله له إلهاً ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾ من غير حجة ساطعة ﴿حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ جزاؤه وعقابه عند الله ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لا يفوز ويسلم من كفر بالله.

أمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ بالاستغفار، وطلب الرحمة من الله سبحانه، تعليماً للأمة طريق الثناء على الله، والتضرع إليه، لاستمطار رحمته، والفوز بجنته ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

* * *